الْمَبَاْحِثُ الْعَقَدِيَّةُ الْمُسْتَوْحَاْةُ مِنْ اقْتِرَاْنِ الْصَبْرِ بِالْتَقْوَى في الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ دِرَاسَةٌ وَصْفِيَّةٌ تَحْلِيْلِيَّةٌ

د. خَاْلِد حُسَيْن عَبْد الرَّحِيْم حَمْدَاْن*

تاريخ وصول البحث: 20/8/2013م تاريخ قبول البحث: 1/7/2014م

ملخص

يعــالج هــذا البحث موضــوعاً عقــديَّاً غايــةً في الأهميَّة- وإن كــانت موضوعات العقيدة كلّها كذلك- هـذا الموضـوع، هو موضـوع الصّبر المقـترن بـالتقوى في أكـثر من موضع من كتـاب الله الكـريم، كيف لا؟! وقد وعد الله الصابرين المتقين منحاً جليلةً، وجـوائزَ عظيمـةً كالنصر على الأعـداء، و التمكين في الأرض، والفلاح في الدنيا و الآخرة.

من أجل هذا أمر الله نبيه محمَّداً بالصـبر والتقـوى، بعد أن قصّ عليه سبحانه قصص إخوانه السـابقين من الأنبيـاء والمرسـلين صـلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ليتأسى بهم وقد نصرهم الله بصبرهم و تقواهم، ومن أجله أيضاً أمر الله عباده المؤمنين بالصبر وبـالتقوى، لا سـيَّما وأنَّه سبحانه أخبرهم بأن أعـداءهم لا بد وأن يـؤذوهم بألسـنتهم و أيـديهم إيـذاءً شديداً، فالصبر والتقـوى إذاً هما طريق الفلاح في الـدنيا والآخـرة، أما من تنكب عن هذا المنهج المبارك، فإن مصيره والعيــاذ بالله القلاقل والفتن، ومآله المصائب والمحن.

Abstract

This study tackles a very significant doctrinal topic, taking into account that all other doctrinal topics are important too. The topic is patience associated with to piety mentioned in many verses of the Holy Quran. We should highlight it as Allah the Almighty promised his patiently preserve believers and who are righteous with great rewards as victory over enemies, empowerment on earth, success and winning in present life and the hereafter.

For that, Allah the Almighty enjoined prophet Mohammed (peace and blessings be upon him) with patience and piety, when he told him the stories of other prophets and messengers (peace and blessings be upon them all) in order to be guided by them. Allah the Almighty granted them victory for their patience and piety. Moreover, Allah enjoined the believers to be patient and righteous, especially that he told them that their enemies will severely hurt them either physically or in words. Thus, patience and piety are tools to obtain prosperity in both lives. On the other hand, those who deviate from this blessed way, their destiny will be full of distresses, crises and misfortunes.

المقدمـة :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل لـه ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بـالهـدى وديـن الحق ليظهره

* أستاذ مشارك، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدعوة – الجامعة الإسلامية، غزة.

على الدين كله ولوكره المشركون، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً، وبعد:

فإنه لابد لكل مؤمن في سائر أحواله من شيئين اثنين. الأول: أمر يمتثله، ونهي يجتنبه والثاني: قدر يرضى به، ولما كانت حقيقة تقوى الإنسان، هي فعل المأمور وترك المحظور وكانت حقيقة صبره هو الرضا بقضاء الله المقدور، كل ذلك رغبة فيما عند الله والدار الآخرة، وكذلك اتقاءً لغضب الله تعالى، انتظمت هاتان القاعدتان في كلمتين اثنتين هما: الصبر والتقوى، ذكرهما الله على لسان لقمان في وصيَّته لابنه، فقال عزَّ من قائل:﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان: 17].

إنّ الصبر والتقوى في حالة ابتلاء الله عباده المؤمنين لحكمة يعلمها، هما وقود الثبات والاستقامة وملازمة الجادة وهما الرصيد الذي لا ينفد لدى المؤمن في حال من الأحوال، ذلك أنَّ الصابر التقي إنَّما هو من الآخذين بعزم الأمور والآخذ به لا يمكن أن يقنط من رحمة ربِّه ، ولا يُمْنَى بالسقوط والانهيار في موقف من المواقف، ولا بدَّ أن يأتيه النصر، عاجلاً أو آجلاً، ليس إلا لأنه حق أحقه الله على نفسه لعباده المؤمنين، فقال سبحانه وقوله الحقُّ: ﴿**... وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الروم: 47]، ولكي يحظى المسلمون اليوم بحقهم على ربِّهم فما عليهم إلا أن يتسلَّحوا بالصبر المقترن بالتقوى، السلاح الماضي الفعّال الناجع النافع، في المحن والأزمات والتحديات، التي يُجَابه بها المؤمن من قبل أعدائه على اختلاف أسمائهم ومسمَّياتهم ومواقعهم، ومما يجب أن تؤمن به الأمَّة المسلمة إيماناً لا ريب فيه، أن الله لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً، قال تعالى: ﴿**... وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾ [النساء:141]، ولن يجعل سبحانه العاقبة إلاَّ للصابرين المتقين، قال تعالى:﴿**...فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [هود:49].

من هنا، فإنَّ من أوجب واجبات الأمَّة المسلمة أن تكون على مستوى الصبر والتقوى الَّذين أمرها الله بهما ليمكنها سبحانه من رفعِ رايةِ دينِهِ، وليوفقها سبحانه لفعل ما يجب فعله لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وما ذلك على الله بعزيز.

موضوع البحث:

يتناول هذا البحث موضوع اقتران الصبر بالتقوى، وهو موضوعٌ عمليٌّ تطبيقيٌّ أكثر من كونه نظريَّاً، والمسلمون يحتاجونه في كل زمان، وفي كافَّة أماكن تواجدهم، ليتخطوا به العقبات الكؤود التي تعترضهم لتمنعهم من الوصول إلى غايتهم، لا سيَّما في هذا الزمان، وقد أحاط بهم عدوهم الخارجيِّ إحاطة السوار بالمعصم، يسانده ويعاونه في ذلك عدو المسلمين الداخلي – المحسوب على المسلمين- بكل أنواع المساندة والمعاونة.

أهميَّـة البحـث :

تكمن أهميَّة هذا البحث في كونه قوام إيمان العبد بربِّه ، إذ به تستقيم حياته، من خلال اتصاله بربِّه سبحانه، فما من مؤمن إلا ويبتلى بأنواع وأصناف من الهموم، فإذا تسلَّح هذا المؤمن بالصبر المقترن بالتقوى تمكَّن من الاستمرار في هذه الحياة بالرغم من مآسيها، حتى يأذن الله له بالفرج، ويكشف ما به من همٍّ أوغمٍّ، فإن لم يفعل استبد به اليأس ولم ولن يتمكَّن من الاستمرار في هذه الحياة، لذلك تمثلت أهميَّة هذا البحث في:

1- أَمْر الله الصريح لعباده بالصبر والتقوى.

2- الصبر المقترن بالتقوى هو أبرز مبطلات كيد العدو ولو كان مسلَّطاً.

3- الصبر المقترن بالتقوى هو طريق الفلاح في الدنيا والآخرة.

أسباب اختيار موضوع البحث:

بالإضافة إلى ما للموضوع من أهمية، فقد اخترته للأسباب التالية:

1- تعلُّق هذا الموضوع بالعقيدة الإسلامية، ومقامات الإيمان كلها، وعظم شأنه في حياة الناس وأمورهم كلِّها الدينية والدنيوية.

2 – افتقار فريق كبير من أبناء الأمَّة الإسلامية إلى الالتزام بالصبر الذي جعله الله قرين التقوى، والأسوأ من هذا الافتقار، هو انصراف كثير من النَّاس عنه البتَّة، حتى صار التَّقِيُّ عندهم هو الأبله الَّذِي لا يعقل مصلحته، ولا مصلحة غيره من النَّاسِ، ولا شيء أشأم على الصبر والتقوى مِنْ فهمها بهذا المعنى.

3- المساهمة في تذكير المسلمين بالصبر المقترن بالتقوى والتواصي به والدعوة إليه.

4- العمل مع جملة العاملين للإسلام على تمثل الصبر والتقوى، ليكون واقعاً ملموساً معاشاً في حياة المسلمين، لا سيَّما وأن الأمَّة الإسلامية تعيش أوضاعاً حرجةً، من حيث تكالب الأعداء وتداعيهم عليها من كل حدب وصوب كما تداعى الأكلة على قصعتها.

أهداف البحث:

يتمثل الهدف الرئيس لهذا البحث في إبراز فوائد الصبر المقترن بالتقوى، ومن ثمَّ الدفع باتجاه انعكاسها إيجاباً على سلوك وحياة الأفراد والجماعات ممن ينتمون إلى هذا الدين، هذا الهدف في حقيقة أمره يتفرَّع إلى العديد من الأهداف الفرعيَّة، مثل:

1- تعميق الألفة والجماعة بين أهل الإسلام، وكبح جماح النزاع بينهم، ومن ثم فلا فشل ولا ذهاب للريح فضلاً عن إغاظة الأعداء وإساءتهم.

2- بث معاني الهمَّة العالية في صفوف المسلمين لبلوغ المراد، فضلاً على الحرص على الإنجاز، مهما بلغت العقبات والتحدِّيات، أو بمعنى آخر: عزم الأمور الأمر الذي يتسبب في غلبة العدو، وتحقيق النصر ومن ثمَّ التمكين، كلُّ ذلك لوراثة الأرض من أجل إقامة شرع الله عليها، وهذا هو فلاح الدنيا.

3- ملازمة العمل الصالح للفوز برضوان الله تعالى وهو الفلاح في الآخرة.

منهج البحث:

سلك الباحث في بحثه المنهج الوصفي التحليلي[1]، حيث إنَّه أنسب المناهج لهذه البحوث.

الدراسات السابقة:

باستثناء القرآن الكريم ومن بعده السنَّة المطهرة من تسميتهما دراسات سابقة باعتبارهما وحي من الله ، وهما كذلك الينبوع الصافي ومصدر المصادر الذي يستمد منه الباحثون أبحاثهم ودراساتهم، كيف لا وقد استمد الباحث موضوع بحثه هذا من القرآن الكريم ومن السنَّة المطهَّرة كذلك، فإنَّ الباحث وقف على كثير من الدراسات والأبحاث، وأوراق العمل التي صنِّفت في موضوع البحث، وهي وإن كانت جميلة وحيويَّة، استفاد منها الباحث على تفاوت بينها، إلا أنَّه لم يقف على دراسة متكاملة منها قرنت بين الصبر والتقوى كما قرنت هذه الدراسة، هذا جانب، وجانب آخر ركَّزت هذه الدراسة على البعد العقدي، وهو البعد الأكثر تأثيراً في النفوس إذا ما قورن مع غيره من الأبعاد، سواء كانت تربوية أو غيرها، في حين لم تبرز ولم تركز تلك الدراسات على البعد العقدي، وإنَّما تحدثت عن الصبر والتقوى كل منهما على حدة، من منظور تربوي تارة، ومن منظور خُلُقِي تارة أخرى وفيما يلي سرد بعضها:

1- **اقتران الصبر بالتقوى حكم وأسرار**، للدكتور توفيق علي زبادي عضو هيئة التدريس بمعهد الإمام الشاطبي، نشره على موقع إخوان أون لاين، الموقع الرسمي لجماعة الإخوان المسلمين بتاريخ:6/7/2011م، وهو المقال القصير الوحيد (مقالة صحفيَّة) الذي قرن بين الصبر والتقوى، تناول فيه كاتبه العديد من القضايا المهمَّة منها: بالصبر والتقوى تتحقق السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار، والصبر والتقوى شرط المدد الإلهي وبالصبر والتقوى تنال ثواب أهل العزم، وغيرها.
2- **الدلالات التربوية لمفهوم التقوى في القرآن الكريم**، للباحث عبد الله يوسف عبد النبي عوض، والرسالة مقدمة لكلية التربية بالجامعة الإسلامية بغزَّة – فلسطين، سنة 2009م وهدفت الرسالة إلى تحديد مفهوم التقوى - في معزل عن الصبر- في المجال الإيماني، وفي مجال العبادات وفي المجال الأخلاقي والسلوكي، وفي المجال الجهادي.
3- **الصبر في ضوء الكتاب والسنة**، للباحثة أسماء عمر حسن فدعق، والرسالة مقدمة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة 1987م، وقد تحدثت الباحثة عن حسن الخلق، وعن حقيقة الصبر، وأقسامه، وأنواعه بتفصيل واسع.

خطَّـة البحث:

جاء هذا البحث في مقدِّمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفيما يلي بيان ذلك.

أولاً: المقدمـة: وقد اشتملت على: موضوع البحث، أهميَّة البحث، أسباب اختيار موضوع البحث، أهداف البحث، منهج البحث، والدراسات السابقة، ثم الخاتمة، وقد اشتملت على أهمِّ النتائج والتوصيات.

ثانياً: التمهيد:

ثالثاً: المباحث: وهي ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بالصبر والتقوى تكون السلامة من شر الأشرار ومن كيد الفجار، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الحسنة التي تصيب المؤمنين فيحزن لها الكافرون.

المطلب الثاني: السيئة التي تصيب المؤمنين فيفرح لها الكافرون.

المطلب الثالث: الوقاية من الأعداء.

المبحث الثاني: الصبر والتقوى طريق أهل العزم، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الابتلاء في المال.

المطلب الثاني: الابتلاء في النفس.

المطلب الثالث: الابتلاء في السمع.

المبحث الثالث: بالصبر والتقوى تكون العاقبة الحميدة في الدنيا و الآخرة، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: معيَّة الله وتأييده و إمداده للمؤمنين.

المطلب الثاني: وراثة الأرض.

المطلب الثالث: الفلاح.

الخاتمـة، وقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

تمهـيـد :

الصبر والتقوى من أبرز الأخلاق الإيمانيَّة التي عني بها القرآن الكريم أيَّما عناية، لذا فإن الله تعالى لازم بينهما في غير موضع من كتابه الكريم، قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** [آل عمران:200]، **... إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** [يوسف:90]، هذا التلازم يعني من جملة ما يعني، أنَّ أحدهما لا يقوم إلا بالآخر، فضلاً عن أنَّ الله تعالى جعل عليهما منحاً جليلةً وجوائز عظيمةً، كالنصر على الأعداء والتمكين في الأرض وحسن العاقبة، فالمؤمن إذاً، لا سبيل لصلاح إيمانه على الوجه الذي يرضي ربَّه عنه إلا إذا جمع بين الصبر والتقوى، ولعل هذا الذي حدا بالإمام بن تيمية رحمه الله إلى أن يُقَسِّمَ النَّاسَ في الصبر والتقوى إلى أربعة أقسام: **أحدها: أهل التقوى والصبر**، أي الذين جمعوا بين الصبر والتقوى، وهم الذين أنعم الله عليهم من أهل السعادة في الدنيا والآخرة، **والثاني: الذين لهم نوع من التقوى بلا صبر** مثل الذين يمتثلون ما عليهم من الصلاة ونحوها ويتركون المحرمات، لكن اذا أصيب أحدهم في بدنه بمرض ونحوه أو في ماله أو في عرضه أو ابتلي بعدو يخيفه عظم جزعه وظهر هلعه، **والثالث: قوم لهم نوع من الصبر بلا تقوى**، كالفجَّار من اللصوص والقُطَّاع الذين يصبرون على الآلام في ما يصيبهم في أهوائهم، وفي ما يطلبونه من الغصب وأخذ الحرام، **الرابع: قوم لا يتقون اذا قدروا ولا يصبرون اذا ابتلوا**، فهؤلاء تجدهم من أظلم الناس وأجبرهم اذا قَدِروا، ومن أذلِّ الناس وأجزعهم اذا قُهِروا، ان قهرتهم ذلوا لك ونافقوك واسترحموك ودخلوا فيما يدفعون به عن أنفسهم من أنواع الكذب والذل وتعظيم المسؤول، وإن قهروك كانوا أظلم الناس وأقساهم قلباً وأقلَّهم رحمةً واحساناً وعفواً، لذا كان هذا القسم هو شر الأقسام على الإطلاق.[2]

تعريف الصبر والتقوى:

أولاً: الصبر: الصبر، من أكثر الأخلاق التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم، حيث ذكر قريباً من مائة مرة[3]، وللصبر فضائل كثيرة؛ منها: أن الله يضاعف أجر الصابرين على غيرهم، **أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** [القصص: 54]، ويوفيهم أجرهم بغير حساب، **قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** [الزمر: 10]. وأن الصابرين في معيَّة الله سبحانه، فهو معهم بهدايته ونصره وتأييده، **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** [البقرة: 153]، كما أخبر سبحانه عن محبته لأهل الصبر، **... وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** [آل عمران: 146]، وأخبر سبحانه أن الصبر خير لأهله، فقال عزَّ من قائل: **... وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ**[النحل:126].

الصبر في اللغة: الحَبْس، يقال: صَبَرْتُ نفسي على ذلك الأمر، أي حَبَسْتُها[4]، وكلُّ منْ حَبَسَ شَيْئاً فقد صَبَرَه[5] والصَّبْرُ نقِيض الجَزَع، وسمي الصابر على المصائب صابرًا لأنه حبس نفسه عن الجزع، والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش[6]، وسُمِّي الصومُ صَبْراً لِمَا فيه من حَبْس النفس عن الطَّعام والشَّرَاب والنِّكاح[7].

الصبر في الاصطلاح: هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله تعالى، لأن الله تعالى أثنى على أيوب بالصبر في قوله : **...إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** [ص: 144]، مع دعائه في رفع الضر عنه في قوله على لسان أيوب : **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**، [الأنبياء: 83]، فعلمنا أن العبد إذا دعا الله تعالى في كشف الضر عنه لا يقدح في صبره[8] وهو: قوة مقاومة الأهوال والآلام الحِسِّيَّة والعقلية[9]، ولو أردنا أن نجمع بين التعريفات سابقة الذكر، وهي تعريفات متقاربة جدًّاً بالمناسبة، فإنَّ الباحث يرى أن الصبر هو حالةٌ تُمكِّن الإنسان بعد الأخذ بالأسباب من تجاوز الحالة التي هو عليها إلى حالةٍ أفضل وأحسن.

ثانياً: التقوى: أينما تلفَّت الانسان في حياته, وفي أي اتجاه سار, فانه لن يجد كالتقوى طريقاً إلى الله تعالى, فهي وصيّته الخالدة للسابقين واللاحقين، قال وقوله الحق: **... وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيّاً حَمِيداً** [النساء: 131], وهي سبيل الفوز بجنّات النعيم **قال تعالى: وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** [آل عمران: 133]، وهي الميزان الضابط لقبول الأعمال، **...إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** [المائدة: 27]، وهي التي لا يقبل الله غيرها, ولا يرحم إلا أهلها, ولا يثيب إلا عليها, حيث قال سبحانه: **... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**[الأعراف: 156].

التقوى في اللغة: وَقَيْتُ الشيء أَقِيه: إذا صُنْته وسَتَرْته عن الأَذى، **...فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ...** [الإنسان:11]، وقوله تعالى: **...هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ...** [المدثر:56]، أي هو أهلٌ أن يُتَّقَى عِقابه وأَهلٌ أَن يُعمَلَ بما يؤدّي إلى مَغْفِرته[10].

التقوى في الاصطلاح: تجنب القبيح خوفاً من الله تعالى، وهي: الخشية والخوف من الله كأن يصون العبد نفسه عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك بأن يجعل بينه وبين ما يخشاه من غضب ربه، وسخطه وعقابه، وقاية تقيه منه، كامتثال أوامره واجتناب نواهيه[11] فالتقوى إذاً: طاعة الله تعالى والبعد عن معصيته، وفيها خيري الدنيا والآخرة، **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ...** [الأعراف:96].

المبحث الأول

بالصبر والتقوى تكون السلامة من شر الأشرار ومن كيد الفجار

من أبرز مظاهر عداوة الكافرين للمؤمنين، أنَّه إذا حصل للمؤمنين أمرٌ حسن من خصبٍ ونصرٍ وتأييدٍ، وكثرةٍ وعزٍّ ظهرت على الكافرين، وعلى من سلك طريقهم من عصاة المسلمين مع الفارق في المعتقد الكآبة والحزن, وإن وقع بهم مكروه من هزيمة أو نقص في الأموال أو الأنفس أو الثمرات فرحوا بذلك, قال تعالى: **إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**، [آل عمران:120]، في هذه الآية الكريمة يرشد الله تعالى المؤمنين، إلى السلامة من شر الأشرار ومن كيد الفجار بالالتجاء إلى الصبر والتقوى، فإنَّهم إن فعلوا ذلك, فإنَّ أذى ومكر الكفار لا يضرهم، والله محيطٌ بجميع أعمالهم من الفساد وسيحاسبهم على ذلك، وفي مطالب هذا المبحث الأتية سنجلّي الأمر تجلية واضحة بإذن الله تعالى.

المطلب الأول: الحسنة التي تصيب المؤمنين فيحزن لها الكافرون

الآية الكريمة التي استهللنا بها هذا المبحث تبرز وبكل وضوح، طبعاً رديئاً من أطباع الكافرين تجاه المؤمنين، هذا الطبع الرديء يتمثل في أنَّه إذا مس المؤمنين خير وإن كان يسيراً، فإنَّ ذلك يغيظهم غيظاً شديداً، وهذا إن دلّ على شيء فإنَّما يدلُّ على ما انطوت عليه نفوسهم من غِلّ وغِمْر[12] للمؤمنين، وما يكنُّونه لهم من بغض، وما يدبرونه ضدهم من مكر وخيانة، وما يحبونه من مضرتهم وإيصال الأذى إليهم بكل وسيلة، لهذا عبرت الآية الكريمة في جانب الحسنة بالمس، للإشارة إلى تمكن الأحقاد من قلوبهم، بحيث إنَّ أي حسنة حتى ولو كان مسها للمؤمنين خفيفاً وليس غامراً عامَّاً فإن الكافرين يحزنون لذلك، لأنهم يستكثرون كل خير للمؤمنين حتى ولو كان هذا الخير ضئيلاً.

قال أبو جعفر: "يعني بقوله تعالى ذكره: **إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ** أي: إن تنالوا أيها المؤمنون، سرورًا بظهوركم على عدوكم، وتتابع الناس في الدخول في دينكم، وتصديق نبيكم ومعاونتكم على أعدائكم يسؤهم،..."[13]، وقد نقل الشيخ المراغي عن قتادة في بيان ذلك قوله: " فإذا رأوا من أهل الإسلام ألفة وجماعة وظهورا على عدوهم، غاظهم ذلك وساءهم"[14] ، حتى ولو كان هذا الخير للمؤمنين في الآخرة، قال تعالى: **...لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** [الفتح:29] قال أبو السعود: "فإن الكفار إذا سمعوا بما أعد للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك أشد غيظ" [15]، والغيظ: "أشدُّ الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه"[16]، ومن غيظ الكفار قول عمر لأهل مكة بعدما أسلم: "لا نعبد الله سراً"[17]، ولعل المثل الأبرز للحسنة التي أصابت المسلمين وأغاظت الكافرين، هو حدث غزوة بدر، تلك الغزوة التي كانت فرقاناً بين الحق والباطل، الحق الأصيل الذي قامت عليه السموات والأرض، الحق الذي يتمثل في تفرد الله - سبحانه - بالألوهية والسلطان والتدبير والتقدير؛ وفي عبودية الكون كله له سبحانه، والباطل الزائف الطارئ الذي كان يعم وجه الأرض، ويقيم فيها طواغيت تتصرف في حياة عباد الله بما تشاء، وأهواء تصرف أمر الحياة والأحياء! . . فهذا هو الفرقان الكبير الذي تم يوم بدر حيث فرق بين ذلك الحق الكبير وهذا الباطل الطاغي؛ وحيل بينهما فلم يعودا يلتبسان!، وكانت فرقاناً بين تصورين لعوامل النصر وعوامل الهزيمة .

جرت معركة بدر وكل عوامل النصر الظاهرية في صف الكثرة المشركة؛ وكل عوامل الهزيمة الظاهرية في صف القلة المؤمنة، حتى قال المنافقون والذين في قلوبهم مرض، فيما أخبر الله تعالى عنهم: **...غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** [الأنفال:49] وقد أراد الله تعالى أن تجري المعركة على هذا النحو لتكون

فرقاناً بين تصورين وتقديرين لأسباب النصر وأسباب الهزيمة ولتنتصر العقيدة القوية على الكثرة العددية وعلى الزاد والعتاد؛ فيتبين للناس أن النصر للعقيدة الصالحة القوية، لا لمجرد السلاح والعتاد؛ وأن أصحاب العقيدة الحقة عليهم أن يجاهدوا ويخوضوا غمار المعركة مع الباطل غير منتظرين حتى تتساوى القوى المادية الظاهرية لأنهم يملكون قوة أخرى ترجح الكفة؛ وأن هذا ليس كلاماً يقال ، إنما هو واقع متحقق للعيان[18].

وهكذا كانت غزوة بدر حسنة من الله تعالى أصابت المؤمنين، من حيث انضمام أعداد جديدة للإسلام في المدينة وبعض الأشخاص من مكة، وفي الوقت نفسه أساءت الكافرين من ناحية ما ترتب عليها من آثار مدمرة لكل من عادى هذا الدين، فعلى صعيد قريش هشَّمت معركة بدر كبرياءها، وقتلت جُلَّ قياداتها، وفاتها المركز الضخم الذي كانت تطمح إليه بين العرب أما المنافقون فقد غاظهم انتصار المسلمين وضاقوا به ضيقاً لا يعلمه إلا الله ، وقد ألجأهم هذا الضيق إلى التآمر على الدعوة في الخفاء، والتعاون مع إخوانهم اليهود، ولم يكتفوا بذلك بل انحدروا إلى مستوى العمالة لقريش، والروم، ونصارى العرب، أما اليهود فقد كان وقعت نتائج معركة بدر على نفوسهم وقع الصواعق، لا سيَّما المقيمين في المدينة، فهذا كعب الأشرف لما انتهت إليه نتائج المعركة قال: "أحق هذا ؟ أترون أنَّ محمداً قتل هؤلاء فإنهم أشراف العرب، وملوك الناس!! والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم، لبطن الأرض خير من ظهرها" [19].

المطلب الثاني: السيئة الـتـي تصيب المؤمنين فيفرح لها الكافرون

الطبع الرديء من أطباع الكافرين، والذي بيَّنَّا طرفاً منه في المطلب الأول نتمُّه هنا، ويتمثل في أنَّه إذا مسَّ المؤمنين مكروه فرحوا به، مع التأكيد على أنَّ المكروه الأكبر الذي يصيب المؤمنين يُفرح الكافرين أكثر من المكروه الأصغر، فإنَّه لا يشفي غيظ قلوبهم وحقدَها كما الأكبر، دلَّ على ذلك قوله تعالى في جانب الحسنة: ﴿**إِنْ تَمْسَسْكُمْ**﴾ أي: مجرد مس ﴿**حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ**﴾ وأما في جانب السيئة فقال تعالى: ﴿**...وَإِنْ تُصِبْكُمْ** ﴾أي بقوة مرها وشدة وقعها وضرها يفرحوا بها [20]، قال أبو جعفر رحمه الله: "يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿**... وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا...**﴾، وإن تنلكم مساءة بإخفاق سرية لكم، أو بإصابة عدوٍّ لكم منكم، أو اختلاف يكون بين جماعتكم يفرحوا بها"[21]، وكما بيَّنَّا في المطلب السابق المثل الأبرز للحسنة التي أصابت المسلمين فأغاظت الكافرين وهو ما حدث في غزوة بدر، نبيِّن هنا في هذا المطلب المثل الأبرز للسيئة التي أصابت المسلمين فأفرحت الكافرين، وهو ما حدث في غزوة أحد، من شماتة أبي سفيان بعد نهاية المعركة وحديثه مع عمر، إذ لمَّا أشرف المشركون على الانصراف، أشرف أبو سفيان على الجبل فنادى أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم ابن أبي قحافة ؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم عمر بن الخطاب ؟ فلم يجيبوه ـ وكان النبي منعهم من الإجابة ـ ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه أن قيام الإسلام بهم، فقال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم، فلم يملك عمر نفسه أن قال: يا عدو الله، إن الذين ذكرتهم أحياء، وقد أبقى الله ما يسوؤك، فقال: قد كان فيكم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني، وكونها لم تسؤه فإنها قد سرَّته، ثم قال: أعْلِ هُبَل، فقال النبي : " ألا تجيبونه؟" فقالوا: فما نقول؟ قال: " قولوا: الله أعلى وأجل"، ثم قال: لنا العُزَّى ولا عزى لكم، فقال النبي: "ألا تجيبونه؟" قالوا: ما نقول؟ قال: " قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم"، ثم قال أبو سفيان:أنْعَمْتَ فَعَال، يوم بيوم بدر، والحرب سِجَال فأجابه عمر ، وقال: لا سواء قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار[22]، لذلك لما فشِلت كل أساليب قريش في النيل من المسلمين أخذت نساؤهم يضربن بالدفوف خلف الرجال ويُحرضنَهم على القتال ويَصِحْنَ [23]:

" ويهاً بني عبد الدار ويهاً حماة الأبرار، ضرباً كل بتار" "نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ، نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقْ، إِنْ تُقْبِلُوا نُعانقْ، أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ، فِرَاقَ غير وَامِقْ"

وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّما يدل على الفرحة الغامرة التي عمَّت كفار قريشٍ لما أصاب المسلمين في أحد، وبالمناسبة فهذا هو ديدن الكافرين والمشركين في كل زمان ومكان، فهل يعي المسلمون ذلك ويأخذوا حذرهم؟؟! كيف لا وقد بيَّن الله لهم ذلك بل وأمرهم به، فقال سبحانه وقوله الحق:**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**[آل عمران:118].

قال الإمام الفخر ما ملخصه: اختلفوا في الذين نهى الله المؤمنين عن مخالطتهم، فقيل: هم اليهود، لأن بعض المسلمين كانوا يشاورونهم في أمورهم ويؤانسونهم لما كان فيهم من الرضاع والحلف، وقيل: هم المنافقون، وذلك لأن بعض المؤمنين كانوا يغترون بظاهر أقوالهم فيفشون إليهم الأسرار، والصحيح أن المراد بهم جميع أصناف الكفار[24].

المطلــب الثالث: الـوقايــة مــن الأعــداء

لما بين تعالى شدة عداوة الأعداء، وشرح ما هم عليه من الصفات الخبيثة، أمر عباده المؤمنين بالصبر، ولزوم التقوى وأخبرهم، أنَّ كيد عدوهم لهم لن يضرهم، ولو كان العدو ذا تسليط، وأنَّهم بصبرهم وتقواهم في أعظم جُنَّة من كيد العدو ومكره، قال تعالى: **...وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**، والمعنى: **وَإِن تَصْبِرُواْ** أيها المؤمنون على طاعة الله، فتضبطوا أنفسكم ولا تنساقوا في محبة من لا يستحق المحبة وتتحملوا بعزيمة صادقة مشاق التكاليف التي كلفكم الله تعالى بها، وتقاوموا العداوة بمثلها، **وَتَتَّقُواْ** الله تعالى فتنتهوا عن كل ما نهاكم عنه، وتمتثلوا أمره في كل ما أمركم به، إن فعلتم ذلك أيها المؤمنون **لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ** وتدبيرهم السيء **شَيْئاً** من الضرر ببركة هاتين الفضيلتين الصبر والتقوى[25]، **إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**، فإن الله تعالى محيط بهم وبأعمالهم وبمكائدهم، التي يكيدونكم فيها[26]، فلابد إذن من الصبر على فعل الحسن المأمور، وترك السيئ المحظور ويدخل في ذلك الصبر على الأذى، والصبر على المكاره والصبر عن البطر عند النعم، وغير ذلك من أنواع الصبر ولا يمكن للعبد أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئن له، ويتنعم به، وهو اليقين[27]، ولنا في رسول الله وإخوانه الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الأسوة الحسنة، فقد صبر رسول الله في مواطن الصبر كلِّها، سواء كانت مواطن إعلاميَّة، حيث رموه بالكذب والكهانة والجنون والشعر والسحر ليصرفوا الناس عن اتباعه فصبر لذلك كله، وسواء كانت مواطن حربيِّة شنها عليه أعداء هذا الدين، فصبر وصابر ورابط واتقى الله سبحانه حتى أعزَّ الله الإسلام وأهله، وأذل الكفر وأهله، ونوح صبر لأمر الله ، فنجَّاه سبحانه من الهلكة مع من آمن به، ذلك أنَّ الْعَاقِبَةَ في الفوز والنصر والغلبة لِلْمُتَّقِينَ، وأعطاه في الآخرة ما أعطاه من الكرامة، وغرَّق المكذبين به فأهلكهم جميعاً [28]، وخليل الرحمن إبراهيم الذي عانى ما الله به عليم من التكذيب، والرد، والرفض، والضرب، والإبعاد والإخراج والإحراق، فما لانت له قناة، وهو صابر يقول: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، لذلك وصف الله الكافرين بالأخسرين في قوله عز من قائل:**وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ** [الأنبياء:70] وقد كانت خسارتهم في مسألة حَرْق إبراهيم من عِدَّة وجوه، منها أن إبراهيم لم يُصِبْه سوء رغم إلقائه في النار، ثم إنهم لم يَسْلَموا من عداوته، وبعد ذلك سيجازون على فِعْلهم هذا في الآخرة، فأيُّ خُسْران بعد هذاالخسران[29].

المبحث الثاني
الصبر والتقوى طريق طريق أهل العزم

الابتلاء كما هو معلوم سنَّة الله الثابتة في عباده المؤمنين، وهذه حقيقة عقديَّة يجب أن نتيقنها فلا نشك فيها ونتذكرها فلا ننساها، ونستحضرها فلا تغيب عنا والابتلاء علامة من علامات الصدق ودلالة على أنَّ أصحابه إنما يسيرون في الاتجاه الصحيح نحو تحقيق أهداف

دينهم، كيف لا؟! وقد أيَّد القرآن الكريم هذه الحقيقة وأكدها، والسنَّة المطهرة كذلك، قال تعالى: **﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾** [آل عمران: 186]، وقال رسول الله ﷺ "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط"[30]، ولقد ابتلي ﷺ، وهو الأكرم على الله ﷻ، والأحظى عنده ﷻ، فقد حوصر في شعب أبي طالب هو وبنو هاشم، حصاراً يقصم الظهر، الأمر الذي اضرهم إلى أكل أوراق الشجر، وحتى أصيبوا بظلف العيش وشدَّته، إلى حد أنَّ أحدهم يخرج ليبول فيسمع بقعقة شيء تحت بوله، فإذا هي قطعة من جلد بعير، فيأخذها فيغسلها، ثم يحرقها ثم يسحقها، ثم يستفها ويشرب عليها الماء فيتقوَّى بها ثلاثة أيام، وحتى لتسمع قريش صوت الصبية يتضاغون من وراء الشعب من الجوع[31]،

---

1 المنهج الوصفي التحليلي هو: "وصف منظم للحقائق، ولميزان مجموعة معينة أو ميدان من ميادين المعرفة المهمَّة بطريقة موضوعيَّة وصحيحة". أحمد الخطيب وآخرون، **دليل البحث والتقويم التربوي**، (ط 1985م), ص62.

2 أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، (توفي 728هـ)، **الزهد والورع والعبادة**، تحقيق: حماد سلامة, محمد عويضة، الأردن، مكتبة المنار، 1407هـ، (ط: 1)، ص105-107.

3 **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، محمد فؤاد عبد الباقي، ص399-401، دار الفكر- بيروت.

4 **معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، 3/329، تحقيق: عبد السلام محمد هارون الطبعة:1399هـ/1979م، دار الفكر.

5 **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي، 12/27، تحقيق: مصطفى حجازي 1393هـ/1973م، مطبعة حكومة الكويت.

6 **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، عبد الرحمن بن الجوزي، ص: 387، تحقيق: محمد الراضي، الطبعة الأولى 1404هـ/1984م، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت. **والإفصاح في فقه اللغة**، حسين موسى وعبدالفتاح الصعيدي، 1/661، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي.. **والمرام في المعاني والكلام**، د. مؤنس رشاد الدين، ص507، الطبعة الأولى 1420هـ/2000م، دار الراتب الجامعية – بيروت، و**تهذيب مدارج السالكين،** ابن قيم الجوزية، ص276، طبعة 1997م، مكتبة الإيمان- المنصورة

7 **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور 4/438، باب الصاد فصل الباء، دار صادر

8 **التعريفات،** علي بن محمد بن علي الجرجاني، ص171، تحقيق وتعليق د. عبد الرحمن عميرة الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م : عالم الكتب، وانظر: التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص447، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، 1410هـ، دار الفكر المعاصر- بيروت, دار الفكر – دمشق.

9 التوقيف على مهمات التعاريف**،** ص447.

10 **لسان العرب**، 13/116، باب الحاء فصل السين، تاج العروس من جواهر القاموس، 40/226.

11 التوقيف على مهمات التعاريف، ص199، والمعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى وآخرون،2/ 1052 تحقيق ، مجمع اللغة العربيـة، الطبعة الرابعة 1425هـ/2044م ، مكتبة الشروق الدوليَّة.

12 الغمر (بكسر الغين وسكون الميم)، والغمر (بفتحتين) ، الحقد والغل ، الذي يغمر القلب غمرًا.

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، (توفي393 هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار بيروت، دار العلم للملايين، 1407هـ/1987م، (ط4)، ج2، ص 772.

13 محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، (توفي310 هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، مكتبة ابن تيمية (ط2)، ج7، ص155.

وكان ذلك تطبيقاً لما تعاقدت عليه قريش وكتبته في الصحيفة من كفرٍ وقطيعة والعياذ بالله ؛ فكان لابد من الابتلاء، وابتلي يوم أحد وكان يوم الأحزاب يوماً عصيباً، فيه من الفتن والأهوال التي زلزلت قلوب المؤمنين ما الله به عليم، ولكن في النهاية كان النصر المبين والحمد لله رب العالمين، كل ذلك لاقتران الصبر بالتقوى في نفس النبيِّ ومن معه من المؤمنين، قال ابن القيم رحمه الله : "هيأ سبحانه لعباده المؤمنين منازِلَ في دار كرامته، لم تبلُغْها أعمالهم ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنةِ فقيَّض لهم الأسبابَ التي تُوصِلُهُم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها"[32] أقول: هذا الطريق هو طريق أهل العزم، طريق ذات الشوكة، إنه الطريق إلى الجنة، وقد حفت بالمكاره، بينما حفت النار بالشهوات، ولعمري هو طريق الصالحين الصادقين من قبل ومن بعد، لذلك أجد من الضرورة بمكان بيان المعنى الذي ارتضاه القرآن الكريم ليكون وصفاً للذين يبتلون، فيصبرون ويتقون، ألا وهو العزم.

---

[14] أحمد مصطفى المراغي،(تـوفي 1371هــ/1952م)، **تفسير المـراغي**، مصـر، شـركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده 1365هـ/1946م, (ط1)، ج4، ص47.

[15] محمد بن محمد العمـادي أبو السـعود، (تـوفي 982هــ)، **تفسير أبي السـعود المسـمَّى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، بيروت. دار إحيـاء الـتراث العـربي، ج8، ص115.

[16] محمد عبد الرؤوف المناوي، (توفي1031هـ) **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيــق: د. محمد رضوان الداية، بيروت- دمشق، دار الفكر المعاصر, 1410هـ، (ط1)، ص544.

[17] أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، (توفي 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، 1427هـ/2006م، (ط1)، ج8 ص89.

[18] سيد قطب، (توفي 1966م)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق،1400هـ/1980م، (ط9)، ج3 ، ص1521-1523.

[19] محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المدني، (توفي151هـ/768م)، **السيرة النبوية**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، 1424هـ/2004م، (ط1) ، ج1 ص326، و محمد بن عبد الله بن يحي ابن سيد الناس، (توفي 734هـ)، **عيون الاثر في فنون المغازي والشـمائل والسـير** تحقيق محمد عيد الخطراوي، محيي الـدين مسـتو، دمشـق- دار ابن كثـير، المدينة المنـورة- مكتبة دار التراث، ج 1 ص44.

[20] برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (تـوفي885هــ/1480م)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، 5/40، القاهرة - دار الكتاب الإسلامي.

[21] **جامع البيان**، ج7 ص 155. وتفسير المراغي، ج4، ص47.

[22] محمد بن أبي بكر ... ابن قيم الجوزية، (751هـ/1349م)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق شـعيب الأرنـؤوط، وعبد القـادر الأرنـؤوط ، بـيروت مؤسسة الرسـالة، الكـويت - مكتبة المنار الإسلامية ، 1415هـ/1994م، (ط:27)، ج3 ص202, ومحمد ابن سعد بن منيع الزهري، (توفي 230هـ/845 م)، **كتاب الطبقات الكبير**، تحقيق: د. علي محمد عمر، القـاهرة، مكتبة الخانجي1325هـ، ج2 ص44، و أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، (توفي297هـ/909م)، **كتاب المغـازي** تحقيـق: د. عبد العزيز بن إبـراهيم العمـري، المملكة العربيَّة السـعوديَّة، دار إشبيليا، 1420هـ/1999م، (ط1) ص238، وأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، (توفي 279هــ)، **كتاب جمل من أنساب الأشراف** تحقيـق: محمد حميد اللـه، القـاهرة، معهد المخطوطـات لجامعة الدول العربيَّة، ودار المعارف بمصر 1959م،ج1 ص327.

[23] **عيون الاثر**، ج 2 ص 16.

[24] محمد الــرازي فخر الــدين، (تــوفي 606هــ)، **تفســير الفخر الــرازي**، لبنــان، دار الفكــر، 1401هـ/1981م، (ط1)، ج8 ص215.

[25] ابن قيِّم الجوزيَّة(751هــ/1349م)، **عدَّة الصـابرين وذخـيرة الشـاكرين**، تحقيـق: سـليم الهلالي، دار ابن الجوزي، 1420هـ/1999م (ط محرم)، ص25،117.

في مطالب هذا المبحث سنقتصر فقط في حديثنا على ثلاثة أنماط من أنماط الابتلاء الا وهي الأنماط الوارد ذكرها في قوله تعالى:**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** [آل عمران: 186].

المطلب الأول : الابتــلاء في المــــال

المال كما هو معلوم عصب الحياة، ووسيلة من وسائل الإنسان المهمَّة إلى مرضاة ربِّه عنه وهو احدى الضرورات الخمس المتفرعة عن مقاصد الشريعة الكبرى[33]، والمال نعمة من نعم الله تعالى على خلقه ليستمتعوا بها في حياتهم الدنيا، قال تعالى: **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً** [الكهف:46] وما دام الأمر كذلك، فإنَّ العبد المؤمن عرضة لأن يبتليه ربُّه في شيء من ماله، بأداء ما فرض فيه من الحقوق، تمحيصاً له واختباراً وكذلك بالمصائب والأرزاء، وإني وإن كنت مختاراً نماذج لهذا المقام؛ فإنني سأقتصر على أنموذجين اثنين الأول لأبي بكر الصدِّيق ، والآخر لصهيب الرومي .

الأنموذج الأوَّل: أنموذج أبي بكر الصدِّيق :

---

26 عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (توفي 1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان**، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ، 1423هـ/2002م، (ط 1)، ص973.

27 أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، (توفي 728هـ)، **الاستقامة**، المدينة المنورة جامعة الإمام محمد بن سعود. 1403هـ،(ط:1) ج2 ص261.

28 **جامع البيان**، ج15، ص356، وأبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (توفي 538هـ/ 1143م) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، الرياض، مكتبة العبيكان،1418هـ/1998م، (ط:1)،ج3، ص207.

29 محمد متولي الشعراوي، (توفي 1998م)، **تفسير الشعراوي** (خواطر حول القرآن الكريم) ، ج: 15، ص9587.

30 أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، (توفي 279هـ)، **سنن الترمذي** تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1382هـ/1962م، (ط:1) كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء ج4 ص601، حديث رقم :2396، قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه".

31 سلمان بن فهد العودة، **الغرباء الأولون** السعوديَّة- الدمام- دار ابن الجوزي، 1412هـ/ 1991م، (ط:3)، ج1 ص148، نقلاً عن الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، (توفي 430هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، بيروت- دار الكتب العلميَّة، 1409هـ/1988م، (ط:1)، ترجمة رقم7 سعد ابن أبي وقاص ج1 ص93 ، ود.علي الصلابي **السيرة النبويَّة عرض وقائع وتحليل أحداث**، مصر دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1424هـ/2003م،(ط:2)، ج1 ص219.

32 ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد**: ج3 ص221.

33 مقاصد الشريعة هي: تحقيق مصالح العباد بالإيجاد لها وحفظها، وهي ثلاثة أقسام: الضرورات وهي: المصالح التي تتوقف عليها حياة الناس. وهي الدين والنفس والعقل والمال والنسل، ثم الحاجيات وهي: الأمور التي يحتاج إليها الناس لرفع الحرج والمشقة عنهم، ثم التحسينيات، وهي الأمور التي تجعل أحوال الناس تجري على مقتضى الآداب العالية، والأخلاق القويمة. انظر: د. يوسف البدوي، **مقاصد الشريعة عند ابن تيمية**، الأردن، دار النفائس، ص63-66.

أنموذج أبي بكر الصديق هو الأنموذج الأروع للإنفاق في سبيل الله، كيف لا؟ وهو أتقى الصحابة وأكرمهم عند الله ، وكيف لا أيضاً؟ وهو الذي تفرد بفضيلة إنفاقه ماله كلِّه لم يشاركه فيها أحد، حتى عمر ، وهذا إن دلَّ فإنَّما يدل على تمكن الصبر والتقوى من قلب أبي بكر أكثر من غيره من الصحابة أجمعين، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ؛ فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : "مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ"؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : "مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ"؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: لاَ أُسَابِقُكَ إلى شَيْءٍ أَبَدًا" [34].

لقد أوتي أبو بكر من الصبر ومن التقوى ما لم يؤته أحد من هذه الأمة بعد نبيها ، ولذلك فُضِّل على الأمة كلها، بعد نبيها، فهو أفضل رجالات الأمة بعد النبي ؛ وذلك لصبره وتقواه لربِّه جلَّ في علاه، لقد أدرك أبو بكر بما عنده صبر وتقوى و يقين، وإيمان وتوكل على الله ، أن الله لن يخيِّبه، وأن الله سيربط على قلبه، وأن هذا المال حقيرٌ في عينه لا سيَّما إذا كان يرجو الله والدار الآخرة، وكذلك كان أبو بكر وأرضاه.

الأنموذج الثَّاني: أنـمـوذج صهيب الـرومـي :

أنموذج آخر من بعد أنموذج أبي بكر إنَّه أنموذج صهيب الذي رزء بماله كلِّه مقابل الفرار إلى الله، ولمَّا كان الدافع من وراء ذلك كلِّه ماثلاً وحاضراً، بل وقويَّاً، ألا وهو الصبر والتقوى، فليذهب المال غير مأسوف عليه وليبق الدين.

عقد صهيب العزم على اللحاق برسول الله ، لم يسعه أن يبق بمكَّة بعد رسول الله فتسلل ذات ليلة وخرج، ولم يمض من الوقت إلا اليسير حتى فطن كفار مكَّة له، فهبُّوا مذعورين، وامتطوا خيلهم، وأطلقوا أعنَّتها خلفه حتى أدركوه، ولما أحس بهم نثل كنانته وقال لهم: يا معشر قريش، تعلمون أنّي من أرماكم، ووالله لا تصلون إليّ حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيءٌ، فقال قائلهم: والله لا ندعك تفوز بنفسك ومالك؛ لقد أتيتنا صعلوكًا فقيرًا فاغتنيت وبلغت ما بلغت، ثم تذهب به كلا واللات.

قال: إن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه على أن تخلُّوا سبيلي، قالوا: نعم، فدلَّهم على موضع ماله[35]، وانطلق فارًّا بدينه غير آسف على مال أنفق زهرة العمر في تحصيله، يستفزُّه ويحدوه الشوق إلى رسول الله فلما بلغ قباء ورآه رسول الله هشَّ له وبشَّ وقال: "ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيى". الله.. الله، لا الدنيا وشهواتها وزخارفها ولذائذها ومتعها تساوي: ربح البيع أبا يحيى، علت الفرحة وجه صهيب، وحقًّا والله ربح البيع كيف لا؟ وقد أنزل الله فيه قرآناً سيظل يتلى إلى يوم الدين[36] قال تعإلى: **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ** [البقرة:**207**].

المطلب الثاني: الابتلاء في الـنفـس

أن يرزأ المرء في نفسه أو يعرضها للمخاطر والمهلكات في سبيل نصرة هذا الدين فذلك أدل دليل على أنَّ صاحب هذه النفس قد قرن فيها بين الصبر والتقوى، فهو من

---

34 أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (توفي 275هـ)، **سنن أبي داود**، بيروت- دار إحيـاء التراث العربي، ج2 ص129، كتـاب الزكـاة، بـاب الرخصة في ذلك حـديث رقم: 1678، قـال الشيخ الألباني: حسن، محمد ناصر الدين الألباني، (تــوفي1420هـ/1999م) **صحيح أبي داود** ج5 ص365، الكويت- مؤسسة غراس، 1423هـ/2002م(ط:1).

35 عز الدين ابن الأثير أبو الحسن على بن محمد الجزري **أسد الغابة في معرفة الصـحابة** ج 2 ص419.

36 جلال الدين السيوطي (توفي911هـ/1505م)، **لباب النقول في أسباب الـنزول**، بـيروت- دار الكتاب العربي، 1426هـ/2006م، ص37.

المعدودين الذين يرسمون علامات الطريق لمن بعدهم، وإلا لاختلط حابل الأمور بنابلها ذلك أنَّ الصبر والتقوى هما وقود المعالي، وما دام الأمر كذلك فهو إذاً من المؤتمنين على هذا الدين، الذين يصلحون لحمله، والصبر عليه، يفهم من هذا كلّه، أنَّه مهما أصاب هذا الفريق من الناس –على وجه الخصوص طبعاً- من تضحيات مهما قست، فإنَّه لن يفرط في دينه، ذلك أنَّ الصبر والتقوى مقترنان مع بعضهما البعض هما اللذان يستثيران القوَّة الكامنة في النفس والروح والجسد وينمِّيانها ويجمعانها، ويوجهانها، وما يصبر على ذلك كلِّه إلا أولي العزم الأقوياء، الصابرين الأتقياء، وسأسوق في هذا المقام أنموذجين بارزين الأول منهما لصحابي جليل ربَّاه رسول الله على عينه، ذلكم هو الصحابيُّ الجليل زيد بن الدثنَّة ، والأنموذج الآخر لرجل في هذا الزمان ربَّاه هذا الدين، لنرى من خلال تضحيته بنفسه مدى حيويَّة هذا الدين في إنتاج مثل هذه النماذج، حتى وإن غاب شخص رسول الله باعتباره المربي الأول لهذه الأمَّة على هذا الدين إنَّه أنموذج النماذج في هذا الزمان، سيد قطب رحمة الله تعإلى عليه، كل ذلك لإبراز مدى فاعليَّة الصبر لا سيَّما إذا اقترن بالتقوى في نفس صاحبه.

الأنموذج الأوَّل: أنمـوذج زيـدٍ بن الدثنَّة

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: "وَأَمّا زَيْدُ بْنُ الدّثِنّة فَابْتَاعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ لِيَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ أُمَيّةَ بْنِ خَلَفٍ وَبَعَثَ بِهِ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيّةَ مَعَ مَوْلًى لَهُ يُقَالُ لَهُ نِسْطَاسُ إلى التّنْعِيمِ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ وَاجْتَمَعَ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فَقَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ حِينَ قَدِمَ لِيُقْتَلَ: أَنْشُدُك اللّهَ يَا زَيْدُ أَتُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا عِنْدَنَا الآنَ فِي مَكَانِك نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنّك فِي أَهْلِك؟ قَالَ: وَاَللّهِ مَا أُحِبّ أَنّ مُحَمّدًا الآنَ فِي مَكَانِهِ الّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي، قَالَ: يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْت مِنْ النّاسِ أَحَدًا يُحِبّ أَحَدًا كَحُبّ أَصْحَابِ مُحَمّدٍ مُحَمّدًا ؛ ثُمّ قَتَلَهُ نِسْطَاسُ يَرْحَمُهُ اللّهُ"[37].

مثل هذا الموقف لا يستطيعه إلا صابر تقي من أمثال زيد ، الذي كان قبل عمليَّة قتله يلحظ الموت، وهذه اللحظة على وجه الخصوص هي أصدق لحظة مع النَّفس، فيها يصرِّح الإنسان نفسه تصريحاً عمليَّاً لنفسه وللناس من حوله بالحقيقة التي لا مراء فيها، والتي تُؤَكِّدُ بكُلِّ ثقة واطمئنان أنَّ هذا الدين في نفوس متبعيه هو الدين الحق، ولو لم يكن كذلك لما ضحى زيد وغيره من الصحابة بأنفسهم في سبيله، ما حملهم على ذلك إلا اقتران الصبر بالتقوى في نفوسهم.

الأنموذج الثَّاني: أنمـوذج سيد قطب رحمه الله تعإلى:

رحم الله تعإلى شهيد القرآن سيد قطب الذي اعتزَّ بإيمانه، فصدع بكلمة الحق بلا استحياء ولا وجل، فحكم عليه بالقتل وطلبوا منه أن يعتذر على التلفاز حتى يخفف عنه الحكم، ولكنه أبى- رحمه الله- بالرغم من أنَّ حبل المشنقة كان يلوح أمام ناظريه، قال الشهيد الدكتور عبد الله عزام رحمة الله عليه: "حدثت شقيقته حميدة إثر خروجها من السجن - وأنا أسمع- قالت: جاءني مدير السجن الحربي حمزة البسيوني يوم 28 أغسطس 1966م وأطلعني على قرار الإعدام الموقع من عبد الناصر بإعدام سيد قطب ثم قال: إن إعدام الأستاذ سيد خسارة للعالم الإسلامي والعالم أجمع وأمامنا فرصة أخيرة لإنقاذ الأستاذ من حبل المشنقة، وهي أن يعتذر على التلفاز فيخفف عنه حكم الإعدام ثم يخرج بعد ستة أشهر من السجن بعفو صحي، هيا فاذهبي إليه لعلنا ننقذه، قالت حميدة: فتوجهت إليه لأبلغه الخبر فقلت له: إنهم يقولون إن اعتذرت فسيعفون عنك، فربت سيد على كتفي قائلاً: عن أي شيء أعتذر يا حميدة؟! عن العمل مع الله؟! والله لو عملت مع أي جهة غير الله لاعتذرت، ولكني لن أعتذر عن العمل مع الله، ثم قال:اطمئني يا حميدة إن كان العمر قد

37 ابن هشام (توفي 218هـ)، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقَّا وآخرون، ج2 ص172، ، والإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير(توفي 774 هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، 1418هـ/1997م، (ط:1) ج5، ص505، 506.

انتهى فسينفذ حكم الإعدام، وإن لم يكن العمر قد انتهى فلن ينفذ حكم الإعدام ولن يغني الاعتذار شيئاً في تقديم الأجل أو تأخيره" [38].

المطلب الثالث : الابتــلاء في السـمع

هذا هو الصنف الثالث من صنوف الإيذاء الواردة في الآية الكريمة **﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَــزْمِ الأُمُـورِ﴾**[آل عمران: 186]، والأذى الذي أخبرت عنه الآية الكريمة، إنَّما هو أذى اليهود المتمثل في قولهم في الله ﷻ قولاً عظيماً، من مثل ما أخبر الله ﷻ عنه في قوله تعالى:**﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَـاء...﴾** [آل عمران:181]**،** وقوله تعالى:**﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ ...﴾،**[المائدة:64]، ومنه كذلك قول النصارى، قال تعالى:**﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾**[التوبة:30] ومنه بذاءة اللسان من قبل الذين كفروا بحق النبيِّ ﷺ ومن معه من المؤمنين، ومن ذلك: أنَّ عبد الله بن أُبيِّ بن سلول قد آذى النبيَّ ﷺ ذات مرَّةٍ، وقد دعاهم إلى الله ﷻ وقرأ عليهم القرآن بقوله:" أَيُّهَا الْمَرْءُ لا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا فَلا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ"[39]، وكذلك هو الاستهزاء والسخرية، ومن مثله استهزاء المجرمين بالمؤمنين في الدار الدنيا يضحكون منهم ويحقرونهم ويحسدونهم، لكونهم على غير دينهم وطريقتهم[40]، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾** [المطففين:29 – 30] فلا بد إذاً من سماع الأذى ولابد من وقوع الاستهزاء لذلك رغَّب الله ﷻ عباده المؤمنين بالصبر والتقوى، مخبراً سبحانه إيَّاهم بأنَّ ذلك من عزم الأمور.

---

38 الشــيخ الــدكتور عبد الله عــزام، (تــوفي 1410هـــ/1989م)، **عملاق الفكر الإســلامي (الشهيد سيد قطب)،** باكستان- بيشاور، مركز الشهيد عزام الإعلامي، (ط:1) ص42- 43.

39 محمد بن إسماعيل البخاري، (توفي 256هـ)، **صحيح البخاري**، تحقيــق: محمد زهــير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ (ط:1)، كتاب الأدب، باب كنية المشرك، ج8 ص45.

40 أبو الفداء إسماعيل بن كثير، (توفي 774 هـ) **تفسير القــرآن العظيم،** تحقيـق: سـامي بن محمد السلامة، دار طيبة (ط:1) 1420هـ/1999م، ج8 ص353

المبحث الثالث

بالصبر والتقوى تكون العاقبة الحميدة في الدنيا و الآخرة

قال الله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ۝ إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾ [النحل:127 – 128]، وقال تقدست أسماؤه، وتعالت صفاته ﴿**بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾[آل عمران:125] هذه الآيات الكريمات تدلل وتؤكد على أن معيَّة الله ﷻ وتأييده وإمداده سبحانه إنما هي لأهل الصبر والتقوى، لتكون لهم الغلبة في النهاية على أهل الباطل، قال الشاعر [41]:

اشتدي أزمة تنفرجي *** قد آذن ليلك بالبلج

ويقال: بعد المحن تأتي المنح، ويقال أيضاً: كلما اشتد الأذى قَرُبَ الفرج، ولعل أبرز واقع حال ينطبق عليه المقال، هو واقع حال الصابرين المتقين، فلقد منحهم الله ﷻ ما لم يمنح غيرهم، فجزاهم بما صبروا، بالمعِيَّة الإلهيَّة والتأييد والإمداد الإلهيِّ كل هذا في الدنيا، وأما في الآخرة، فجزاؤهم بإذن الله، الأجر الكبير، والثواب الجزيل، والنعيم المقيم.

المطلب الأول : معيَّة الله ﷻ وتأييده و إمداده للمؤمنين

أولاً: معيَّة الله ﷻ

هذه المعية حق على حقيقتها، معية تليق بالله تعالى ولا تشبه معية المخلوقين**،** كقوله تعالى: ﴿**...وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[الأنفال:46]**،** أي: مع من كان الصبرُ المصحوب بالتقوى، لهم خلقاً وصفةً وملكةً، فلا شكَّ أنَّ حظَّهم عظيمٌ من هذه المعيَّة، التي تسوق لهم كلَّ خير وتحجب عنهم كلَّ شر، فهو سبحانه معهم بمعونته وتوفيقه وتسديده، فهوَّن عليهم المشاقَّ والمكاره وسهَّل عليهم كل عظيم، وأزال عنهم كل صعوبة وهذه معية خاصة تقتضي محبته ومعونته ونصره وقربه وهي منقبة عظيمة للصابرين المتقين، ولو لم يكن لهم فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله ﷻ لكفى بها فضلاً وشرفاً.

ثانياً: تأييد الله ﷻ.

أظهر الله تعالى تأييده لأنبيائه المجاهدين وعباده الصالحين، في كثير من آيات كتابه الكريم، لا سيَّما بعد أن قرَّبوا القربان الذي لا بد أن يتقرب به العبد إلى ربِّه ﷻ، كي يحظى بالتأييد الإلهي، والقربان المراد هنا، إنما هو الصبر الجميل المقترن بالتقوى، كلُّ ذلك بعد الإيمان الصادق بالله ﷻ الذي يعمق الطمأنينة ويرضي بقضاء الله ﷻ وقدره، ويزرع الثقة بنصر الله، حينئذٍ يتحقق في الذين قرّبوا هذا القربان قول الله تعالى: ﴿**... فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ**﴾[الصف:14]**،** فهذا رسول الله موسى ﷺ خرج ببني إسرائيل تنفيذاً لأمر الله ﷻ، فإذا فرعون بجنوده من ورائهم والبحر من أمامهم، وإذا ببعض ضعاف الإيمان يبلغ بهم الخوف والجزع كلَّ مبلغ، فيصرخون: ﴿**...إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾ [الشعراء: 61]، وعلى الفور يعلنها موسى كلمة تدوِّي في سمع الزمان وبصره، وتخاطب كل رعديد جبان، وهي كلمة مفعمة بالصبر المقترن بالتقوى ﴿**قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الشعراء:62]**،** بعدها وعلى الفور جاء تأييد الله ﷻ لموسى ﷺ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾ [الشعراء: 63]**،** وهذا نبيُّ الله يوسف ﷺ بسبب صبره وتقواه أخرجه ربُّه ﷻ من غيابة الجب إلى أبهة القصر، ثم من تهمة الخيانة إلى العفاف والصيانة، ثم من ظلمة السجن إلى تولي الأمر، ومن الغربة والعناء إلى الألفة واللقاء ولم يكن ذلك بحوله ولا حيلته بل بفضل الله ومنته وتأييده له

---

41 هو أبو الفضل: يوسف بن محمد بن يوسف التوزري المعروف بابن النحوي المتوفى: سنة 513 هـ والبيت الذي استشهدنا به هو البيت الأول في قصيدته المسمّاة بـ - "القصيدة المنفرجة". انظر: مصطفى بن عبد الله، الشهير بـ:حاجي خليفة، (توفي 1067هـ/1657م)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، بيروت - دار إحياء التراث العربي، ج2 ص1345.

سبحانه، جزاء صبره وتقواه[42]، قال تعالى على لسان يوسف : ﴿قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف:90] والمصطفى خرج من مكة مهجَّراً طريداً، ثم عاد إليها فاتحاً مجيداً، وبلال بن رباح تقلبت أحواله من التعذيب عبداً تحت الصخرة، إلى التشريف مؤذناً فوق الكعبة[43]، والإمام أحمد بن حنبل تلوح لنا صورته وهو يجلد بالسياط، ثم نراه بعد حين وهو صاحب الجاه والمشورة في أكثر أمور الحياة أهمية، وشيخ الإسلام ابن تيمية كان ثابت الجنان، منشرح الصدر وهو في أوج محنته ويقول معلماً: "أنا جنتي في صدري، سجني خلوة، ونفيي سياحة"[44]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : "إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"[45].

ثالثاً: إمداد الله

إمداد الله تعالى عباده المؤمنين بكافَّة أنواع الإمداد متوقف على اكتمال شروط الأهلية عندهم من الصبر ومتمماته من مكارم الأخلاق مجللة كلها بالتقوى, حينئذ يأتي إمداد الله لعباده المؤمنين ويوفيهم أجر الدنيا وحسن ثواب الآخرة، فإنَّ من اتقى الله في أفعاله أحسن إليه سبحانه في أحواله بأشكال وصور مختلفة لا يعلمها إلا هو سبحانه، وسنن الله في الكون لا تتغيّر ولا تتبدّل، وقد نصر الله نبيه بالملائكة في غزوة بدر، قال تعالى:﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9]**،** قال الإمام القرطبي رحمه الله: "إنما وعد الله المؤمنين يوم بدر إن صبروا على طاعته واتقوا محارمه أن يمدهم أيضاً في حروبهم كلها فلم يصبروا ولم يتقوا محارمه إلا في يوم الأحزاب فأمدَّهم حين حاصروا قريظة وقيل: إنما كان هذا يوم أحد، وعدهم الله الإمداد إن صبروا فما صبروا، فلم يمدهم بملك واحد ولو أمدوا لما هزموا وقال أيضاً رحمه الله: "نزول الملائكة سبب من أسباب النصر لا يحتاج إليه الرب تعالى، وإنما يحتاج إليه المخلوق فليعلّق القلب بالله وليثق به، فهو الناصر بسبب وبغير سبب ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:82]**،** لكن أخبر بذلك ليمتثل الخلق ما أمرهم به من الأسباب التي قد خلت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولا يقدح ذلك في التوكل"[46]، وهذا فيه إشارة أن من صبر واتقى فإن الله يمدّه بمدد من عنده، وأيده سبحانه بالملائكة في غزوة الأحزاب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً﴾[الأحزاب:9]**،** والجنود التي لم تُر هي الملائكة[47]. إن إمداد الله تعالى للمؤمنين بالملائكة أمر قطعي ثابت لا شك فيه، فإذا تمسّك المؤمنون بحقِّهم ودافعوا عنه متوكلين على الله تعالى وصبروا وصابروا

---

42 الامام أبو الفداء إسماعيل بن كثير، (توفي 774 هـ)، **قصص الأنبياء**، تحقيق: د. عبد الحي الفرماوي، القاهرة، دار الطباعة والنشر الإسلامية، (ط:1)، 1417هـ/1997م، ص299 – 330.

43 عبد السلام هارون، (توفي 1408هـ/1988م)، **تهذيب سيرة ابن هشام**، بيروت، مؤسسة الرسالة – الكويت، دار البحوث العلميَّة، 1406هـ/1985م، (ط:14)، ص: 70، 113، 243، 258.

44 الامام ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج: 14 ص396 وما بعدها، ص406 وما بعدها، ص83 وما بعدها.

45 الإمام البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب التواضع، ج8، ص105 حديث رقم6502.

ورابطوا واتقوا الله فإنهم جـديرون بالإمـداد الإلهي، الأمـر الـذي يعطيهم جـرأة في مقابلة الأعداء ويحسم المعركة معهم بالرغم من عدم التكافؤ المادي بين جيش الكفار الكبير عـددًا القوي إعدادًا، وجيش المؤمنين القليل عددًا، الضعيف إعدادًا.

[46] الإمام القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج: 5 ص: 299- 300.

[47] أبو الحجاج مجاهد بن جبر القرشي المخزومي، (توفي 104هـ)، **تفسـير مجاهد**، تحقيـق: أبو محمد الأسيوطي، ، بيروت- دار الكتب العلمية، 1426هـ/2005م، (ط:1) ج: 2، ص214

المطلــب الثاني: وراثـــة الأرض

الصبر المقترن بالتقـوى على الأذى في سبيل الله تعالى، هــو أحـد ثـوابت الـدعوة إلى الله ، فدعوة بلا صبر ولا تقوى لا يرجى من ورائها ثمرة، كيـف لا وقـد جعـل اللـه العاقبـة الدنيويَّة والأخرويَّة للمتقين فقال عزَّ من قائل: **... فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** [هود:49]، ومرادنا بالعاقبة الدنيويَّة وراثة الأرض، وهو ما نفرده بالحديث في هذا المطلب، وأمَّا العاقبـة الأخرويَّة فهي الفلاح في الآخرة، وهو ما سنفرده بالحديث في المطلب التالي لهذا المطلب.

هذه العاقبة، عاقبة وراثة الأرض للذين يقترن صبرهم بتقواهم، هي سـنَّةٌ ربانيَّةٌ واضـحةٌ جليَّة، بدليل أنَّ الله جلَّ وعلا وعد بها عباده الصابرين المتقين، وهو سبحانه لا يخلف الميعاد، وبدليل تحققها على أرض الواقع، واقع كل من صبر واتقى، وفي مقدمــة الصــابرين المتقين، الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهذا موسى دعا فرعون لعنه الله إلى الحق فطغى وبغى وأرعد وأزبد، وتوعد موسى وقومه بأن يستأصل شأفتهم، قـال اللـه تعالى: **وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَـذَرُ مُوسَـى وَقَوْمَـهُ لِيُفْسِـدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِـي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَـاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** [الأعـراف: 127، 128]، فهھنـا أمـرهم اللـه بشـيئين وبشـرهم بشيئين، أما اللذان أمر الله بهما موسى **فالأول:** الاستعانة بالله تعالى، قال اللـه تعـالى: **اسْتَعِينُوا بِاللّهِ** أي:استعينوا بالله وحده، واطلبوا العون والتَّأييد منـه سـبحانه على رفـع وعيد فرعون عنكم، **والثاني:** الصـبر على ابتلاء اللـه ، قـال اللـه تعـالى: **وَاصْبِرُواْ** أي: واصبروا ولا تحزنوا، فاللَّه هو المعين على الشَّدائد، والصّبرُ سلاح المؤمن ومفتـاح الفـرج[48]، وإنما أمرهم أولاً بالاستعانة بالله تعالى، لأن من عرف أنه لا مـدبر في العـالم إلا اللـه تعـالى انشرح صدره بنور هذه المعرفة، وحينئذ يسهل عليه البلاء بشتى صنوفه وألوانـه، **والثـاني:** لأنه يرى عند نزول البلاء أنه إنما حصل بقضاء اللـه تعـالى وقـدره الأمـر الـذي يخفـف عليـه أنواع البلاء، أما اللذان بشَّر الله بهما موسـى ؛ **فالأول:** قولـه تعـالى: **إِنَّ الأَرْضَ لِلّـهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**، وهو اطماع موسى قومه في أن يورثهم الله تعــالى أرض فرعون بعد إهلاكه، والثاني: قوله تعالى: **وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** وهو إشـارة إلى أن كـل من اتقى الله تعالى وخافه فالله يعينه في الدنيا والآخرة[49]، فكانت النتيجة ما أخبرنا اللـه تعـالى به، في قوله عز من قائـل: **فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُـونٍ وَكُنُـوزٍ وَمَقَـامٍ كَـرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ** [الشعراء:57–59]، وقال وقوله الحـق: **كَمْ تَرَكُـوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُـونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَـامٍ كَـرِيمٍ وَنَعْمَـةٍ كَـانُوا فِيهَـا فَـاكِهِينَ كَـذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ** [الدخان: 25–28]، وهذا محمد تآمر المشركون على قتلـه وإنهـاء أمره وتواعدوا على ذلك، وفرح طغاتهم بالأمر ليتم لهم القضاء على ما جـاء بـه محمـد من الهدى ودين الحق، قال تعالى: **وَإِذْ يَمْكُرُ بِـكَ الَّذِينَ كَفَـرُواْ لِيُثْبِتُـوكَ أَوْ يَقْتُلُـوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْـرُ الْمَـاكِرِينَ** [الأنفـال:30]، لـذلك جـاء الأمـر صريحاً لرسول الله بالاقتداء بالصابرين المتقين ممن سبقوه صلوات اللـه وسـلامه عليهم أجمعين، فقـال اللـه جـلّ في علاه **فَاصْبِرْ كَمَـا صَـبَرَ أُوْلُـوا الْعَـزْمِ مِنَ الرُّسُـلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ...** [الأحقاف:35]، وكانت النتيجة أن ورَّث الله نبيـه محمـداً جـزاء صـبره وتقواه مكَّة المكرمة، فأعاده إليها معزَّزاً مكرَّماً بعدما أخرجه قومـه منهـا مطـروداً مهجَّراً، فحطَّم ما كان فيها من أصنام، وأقام فيها دولة الإسلام، فالأرض لله وأولى الناس بها هم الصابرون المتقون، ولذلك جعل الله العاقبة لهم في الدنيا والآخرة.

إنَّ التأمل في سير الصابرين المتقين، وفي مقدمتهم الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، يعطي الإنسـان شـحنةً دافعـةً على الصـبر المقـترن بـالتقوى، قـال تعالى: **وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُـؤَادَكَ وَجَـاءكَ فِي هَــذِهِ**

---

48 أ. د وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، دمشـق، دار الفكـر،1430هــ/2009م، (ط:10) ج:7 ص 56.

49 محمد الرازي فخر الدين، **تفسير الفخر الرازي**، ج: 14 ص221.

الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ [هود:120]، من هنا ندرك سر حــرص القــرآن الكــريم على ذكر صبرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، على ما لاقوه من أذىً في سـبيل دين الله وهذا ما بيَّنه القرآن الكريم، فقال الله : **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَـبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقـدْ جَـاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ** [الأنعـام: 34]، أمَّا الجـزع والهلـع والتـبرم والضـيق، والمبالغـة في التشـكِّي والتبرُّم فلا يرد من قدر الله شيئاً، بل يزيد النفس همَّاً وغمَّاً وكمداً، الأمر الذي يحتِّم أنَّه لابــد من الصبر، لئلا يحـرم العبدُ المثوبةَ، ولئن لـم يصبر أول الأمـر راضياً وله أجـر فسيصـبر بعـد ذاك راغماً ولا أجر له لهذا قال الله لرسوله : **وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْـكَ إِعْرَاضُـهُمْ فَـإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقـاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُـلَّماً فِي السَّـمَاء فَتَـأْتِيَهُم بِآيَـةٍ وَلَـوْ شَاء اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ** [الأنعام:35].

الخلاصـة**:** فإن القول ليس مـا قالـه فرعـون، وليس القـول مـا قالتـه قـريش، فليسـت الأرض رهن تصرف الملوك والدول بقدرتهم الذاتية فتدوم لهم، ولكن القــول مـا قاله اللــه فيما سردنا من آيات بيِّنات، مفادها أنَّ النصر والغلبة لمن صبر واتقى واستعان باللّـه ، هــذا هـو الإنسـان الـذي وعـده اللّـه جـلَّ في علاه تـوريث الأرض، ونحن أهـل السـنَّة والجماعـة الموعودين بذلك، شريطة أن نتقي أسـباب الضـعف والتخـاذل والفسـاد في الأرض ونتصـف بضدها، وبسائر ما يُقَوِّي به اللـه الأمم، من الصـبر والتَقـوَى والاسـتعانة باللّـه الـذي بيـده ملكوت كل شيء.

المطلب الثالث**:** الــفــلاح

هذا المطلب هو مسك ختام هذا المبحث، بل مسك ختام البحث كلِّه، كيف لا؟! والفلاح في الآخرة – وهو مرادنا هنا- إذا تحصَّل عليه الإنسان من بعد رحمة اللــه أولاً، ثم من بعـد العمل بمقتضـاه يعتـبر مسـك ختـام الـدنيا برمَّتهـا، والعمـل بمقتضـى الفلاح هنـا هـو الصـبر والمصـابرة والمرابطـة وتقـوى اللـه ، قـال اللـه تعـالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـواْ اصْـبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** [آل عمران:200] فالله تعـالى هنـا يحض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح وهو الفوز والسعادة والنجاح في الآخـرة، وأن الطريــق الموصل إلى ذلك هو لزوم الصبر المقترن بالتقوى، وهو أن يصـبر الإنسـان على مشـقة أداء الواجبات والمندوبات، وأن يصبر على مشقة الاحتراز عن المنهيـات، وأن يصـبر على شـدائد الـدنيا وآفاتهـا من المـرض والفقـر والقحـط والخـوف، والمصـابرة، وهي عبـارة عن تحمـل المكاره الواقعة بينه وبين غيره من الناس، ويدخل فيها تحمل الاخلاق الرديَّة من أهـل الـبيت والجيران والأقارب، قال تعـالى: **خُذِ الْعَفْـوَ وَأْمُـرْ بِـالْعُرْفِ وَأَعْـرِضْ عَنِ الْجَـاهِلِينَ** [الأعراف:199] ، ويدخل فيها العفو عمن ظلمه كما قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُـواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْـرَبُ لِلتَّقْـوَى وَاتَّقُـواْ اللّـهَ إِنَّ اللّـهَ خَبِـيرٌ بِمَـا تَعْمَلُـونَ** [المائـدة:8] ويـدخل فيهـا المصـابرة مـع المبطلين، وحـل شـكوكهم والجـواب عن شـبههم، والاحتيـال في إزالـة تلـك الاباطيل عن قلوبهم فثبت أنَّ قول الله تعالى: **اصْبِرُواْ** تناول كل ما تعلق بالإنسان وحده، وقوله تعالى: **وَصَابِرُواْ** تناول كل ما كان مشتركاً بين وبين غـيره من النـاس، والمرابطـة، وهي لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منـه، وأن يراقبـوا أعـداءهم، ويمنعـوهم من الوصــول إلى مقاصـدهم، لعلهم يفلحــون[50]، قـال الزمخشـري:" **اصْـبِرُواْ** على الـدين وتكاليفه، **وَصَـابِرُواْ** أعداء الله في الجهاد أي غـالبوهم في الصـبر على شـدائد الحـرب، لا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً، والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على مـا يجب الصـبر عليه تخصيصاً لشدته وصعوبته، **وَرَابِطُواْ** وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مسـتعدين للغـزو"[51] ويـدخل في هـذا مبـاراتهم في هـذا العصـر بعمـل البنـادق، والمـدافع،

50 عبد الـرحمن السـعدي، **تيسـير الكـريم الـرحمن**، ص162، و محمد الـرازي فخر الـدين، **تفسير الفخر الرازي**، ج9 ص160.

51 محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف**، ج:1، ص683.

والسفن البحرية والبرية والهوائية، وغير ذلك من الفنون، والعدد العسكرية، ويتوقف ذلك كله على البراعة في العلوم الرياضية، والطبيعية ، فهي واجبة على المسلمين في هذا العصر لأن الواجب من الاستعداد العسكري لا يتم إلا بها، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[52]، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنْ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا"[53]، قال بعض أرباب اللسان: "اصبروا على النعماء، وصابروا على البأساء والضراء، ورابطوا في دار الأعداء واتقوا إله الأرض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء"[54] يُعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة وتقوى الله ، فمن أفلح لم يفلح إلا بها، ولم يفت أحداً الفلاح إلا بالإخلال بها أو ببعضها.

الخاتمة :

لا شك أن للصبر المقترن بالتقوى نتائج كبيرة على الأفراد والمجتمعات، بل إن الواقع يؤكد أن علاج كافة مشكلات الأمة اليوم، يمكن حلها متى تسلحنا بالصبر والتقوى، لأننا بهما نحظى بتأييد الله ومعيته، مما يؤدي إلى الوقاية من الأعداء، والتمكين في الأرض، والنجاح في كل شأن من الشئون، و لقد أكَّدت سير الأنبياء والصالحين كلها ذلك، فلقد أيد الله نوحاً وموسى وإبراهيم وزوجه أم إسماعيل، ونجّى يونس عليه السلام من بطن الحوت، ونجّى أيوب من المرض، وكان نبيُّنا متمتعا بالصبر والتقوى، ولذا كانت النتيجة أن الله تعالى مكّن له؛ رغم قوة عدوه، حتى أعاده إلى مكة معززاً مكرَّماً، وبعد :

فهذا جهد بشري فما كان فيه من حق وصواب فمن الله وحده، وله سبحانه الحمد والثناء على توفيقه، وما كان فيه من خطأ وزلل وتقصير فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه من ذلك، والله سبحانه أسأل أن يجعلني من عباده المؤمنين الصابرين المتقين، وأن يرزقني إخلاص النية وصلاح العمل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج :

1. الصبر والتقوى أمران متلازمان لا يقوم أحدهما إلا بالآخر.
2. دعاء العبد ربَّه لكشف الضر عنه لا يقدح في صبره.
3. الصبر والتقوى هما الضابطان الأمينان لضبط تصرفات الإنسان، وتوجيه طاقاته وسلوكيَّاته الصادرة عن بشريَّته، فلا بدَّ إذاً من الصبر كي يستطيع الإنسان القيام بواجباته، ولا بد من التقوى، كي يستطيع أن يبتعد عن المحرمات.
4. الصبر على الأذى في سبيل الله ثابت من ثوابت الدعوة إلى الله ، فدعوة بدون صبر لا يرجى من ورائها ثمرة فلا بد من التحمل والصبر، والعاقبة بعد ذلك للمتقين.
5. كيد العدو للصابرين المتقين لا يضرهم إلا أذى، وأنَّهم بصبرهم وتقواهم في أعظم جُنَّة من كيد العدو ومكره، ولو كان العدو ذا تسليط، بل إنَّ الصبر المقترن بالتقوى من أهمِّ

---

[52] محمد رشيد رضا تفسير(توفي23 جمادى الأولى 1354 هـ/22 أغسطس 1935م)، **القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار**، القاهرة، دار المنار، 1947م (ط:2)، ج:4 ص: 318، 1366هـ.

[53] الإمام البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد، باب فضل رباط يوم في سبيل الله...، ج: 4 ص: 35، حديث رقم:2892.

[54] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (توفي 516هـ)، **تفسير البَغَوي "معالم التنزيل"** تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، الرياض- دار طيبة، 1409هـ/1989م، (ط:1) ج2 ص 157.

أسباب إحباط كيد العدو، والانتصار عليه في الدنيا، كما أنها مع حسن النيَّة وقصد إقامـة الحق والعدل من أسباب سعادة الآخرة.

ثانياً: التوصيات

باعتبار أن الصبر والتقوى أعمال كلها اختيارية داخلة في مقـدور الإنسـان، ولـذلك أمـر الله بها، فإننا نهمس في أذن كل مسؤول ولاه الله أمراً من أمور المسلمين، فنقول:

1- ربُّوا أنفسكم أولاً على الصبر والتقوى حتى تستطيعوا أن تربُّوا رعاياكم عليهما فإنَّ فاقـد الشيء لا يعطيه

2- بعـد أن تربُّوا أنفسـكم على الصـبر والتقـوى ربُّوا من اسـترعاكم اللـه عليهم، لا سـيَّما جنودكم، فإن أنتم فعلتم نصركم الله على عدوكم، ومكن لكم كما نصر أسلافكم ومكن لهم وإن لم تفعلوا كنتم سبب تخلف النصر، وتمكين الأعداء من أمتكم، وبؤتم بـإثم ذلـك، ثم يستبدلكم الله بقوم يحبهم ويحبونه؛ فيجعل الله النصر والتمكين على أيـديهم. فكونـوا أنتم أولئك يكتب لكم النصر...نسأل الله تعـإلى أن ينيلنـا مـا أرشـدنا إليـه، وأقـدرنا على أسبابه من سعادة الدارين.

الهــوامـش: